بيروت والطوفان

خالد الخزرجي

وصرَخْتْ:
ـ هَذا وجهُكِ الطفليُّ تنكرهُ العيونْ
أمْ نجمةٌ سوداءُ في قنديل نارْ؟
أمْ أنّ ليلَ الحربِ، ليلَ الشرّ،
أبحَر في ضفائركِ الغصونْ؟!
أمْ أنتِ أرملةٌ،
تَدَثَّرُ بالرماد وبالجنون؟!
وصَرَخْتُ:
ـ لا . . ما كانَ وجهُكِ غيرَ مرآةِ العصور
الطيّباتِ،
وصبوةِ الحُلُمِ المنوّرِ، فاسمعيني . .
ـ إني ادّخَرْتُ دمي
ليومِ مشيئة التاريخِ،
قلتُ:
أحرّضُ الأحجارَ، والأطفالَ، والوطنَ
الصموتَ،
أزلزِلُ الدنيا وأوقدُ نارَها!.
قومي معي . .
هذا مخاضُ دَمِ العصور بأيّ مالغةٍ،
بأيّ وسيلةٍ
قومي ابعثي طوفانَها
هِيَ كِلْمَةٌ ـ لا غيرَ ـ
تنتفضُ الشعوبُ وتَزدري جلاّدَها!.

●

بيروتُ مشنقَةٌ جديده . .
ودَمٌ يُعَبَّأُ في قَناني الخمر يشربهُ الغزاةْ
بيروتُ طفلتنا الوحيده . .
أغْفَتْ على ثدْيٍ زجاجْ . .
وآغتالَ ضحكتَها رصاصُ الحقدِ،
قَصَّ ضفائرَ الأعيادِ ـ يا غضبي اشتعِلْ ـ
هـذي رياحُ الموتِ تصهلُ في المدينةِ،
يا دمي كنْ شاهدي
كنْ سيفيَ الممشوقَ يرسمُ ليْ غدي!.

●

بيروتُ مائدةُ التفاوضِ، والعشيرةُ،
ـ آهٍ يا بلدي ـ موزّعَةٌ
تقايضني التي ليْ في هواها بَيْعَةٌ
وأنا المبدَّدُ، مَنْ يجمّعُ شملَ أوردتي،
تحاصرني الخناجرُ والمُدى . .
«قـومـي هُمُ قـتلوا أميـمَ أخـي
فـاذا رَمَيْتُ يـصيـبني سهـمي»
«فـلئنْ عَـفَـوْتُ لأعفُـوَنْ جَـلَلاً
ولئـنْ رميـتُ لأوهِنَـنْ عـظمـي»

●

قد ضعْتُ في الفلواتِ،

جُبْتُ رحابَ أرض اللهِ
أسألُ عن بلادٍ تحتويني
أعماميَ المتدثّرون بصمتهمْ
رقصوا لمذبحتي . . تَنادَوْا للوليمةِ،
لم يزلْ جرحيْ بأوردة الرماحِ مكفْناً
وأنَا الشهيدُ بلا وطنْ! .
لأكادُ أنكرُ كلَّ آبائي، وأسمائي،
وأخلعُ رايةَ الأجدادِ، أبْرَأُ من ظنوني . .

●

كَفَّنْتُ جرحي، وارتَدَيْتُ
عباءَةَ الريحِ، امتشقْتُ يديْ،
امتطيْتُ بُرَاقَ ناري
والريحُ تصهلُ في البراري
والريحُ تأخذني وتقطفُ من ثماري
مَنْ شاهدي؟!
هذا قميصُ مفاتني رَثٌّ
وألهَثُ:
ـ سوف تولدني البلادْ
جمراً على جمرٍ، وأبصرُ جثّتي . .
مرمى خناجرهمْ يكفّنها الرمادْ . .
مُـذُني مبعثرةٌ وأشلائي بكفِّ الموتِ،
نخــذلني العشيــرةُ، كيف أهــربُ من
دمي؟!
وأنا القتيلُ وليْ دَمٌ
في الأرضِ وآسْمٌ في السماءْ! .

●

وعَدَوْتُ أركضُ في البراري
والخوفُ من دارٍ لدارِ
يجتاحُني
ويغوصُ في لحمي، يبدّدني فأسقطُ في
قراري
أنـا حامـلُ الارْثِ القـديمِ وريثُ كـلِّ
سُلالةٍ
بدويّةٍ أحقادُها
مضريّة أحفادُها
بنداحُ صوتي غاضباً
في كلِ أرض قفـرةٍ عطشى لثاري!

●

بيني وبينكُمُ تواريخٌ من الثاراتِ،
والدّمِ . . والخطايا . .
وأنا وريثكُمُ الذي اغتالَتْهُ
أسيافُ المنايَا . .
أسْرَيْتُ أبحثُ عن جذور سلالتي
شاخَتْ بيَ الطرُقُ القديمةُ واحتواني
تَعَبٌ . . وصَوّحَ بيْ زماني . .
من أينَ؟ . . من أي المفازات البعيدةِ،
يبتدي تاريخُ مجدكِ يا بلادي؟!

●

يا هذهِ المدنُ الظِّماءْ . .
لو مرةً . .
تتوقّدينَ
وتمطرينْ
لو صحوةً . .
ونقيمُ عرسَ النار،
نولمُ للضحى
وطناً من الأقمـارِ
والأشجارِ،
لو تتفجّرينَ
وتُبْعَثينْ . .
فلتوقدي . .
من شمسِكِ النّورَ الذي تترقبينْ
ولتنبتي
شجراً توسِّدُهُ ضلوعُ العاشقينْ!

بغداد